

# يحيى حقي



عاشق الفن

تاريخ التسجيل ١٩٨٣/٢/١٧

★ حقيقة:

لا يوجد شعب يستغنى عن الأغنيات التافهة أبداً!

★ اقتراح:

تغيير الثوب بدلاً من ترقيعه!

★ رأى:

مفتاح غلق الراديو.. هو أعظم إنجاز وأروع اختراع!

★ قل ولا تقل:

وحدة الثقافة لا وحدة التاريخ.

ضيفنا في هذه الحلقة نهر يتدفق حكمة وعطاءً ، مقل في عدد الصفحات مكثراً فيما يخرج به من لآلئ من أعماق هذه الصفحات . . معنا في هذه الساعة بتجربته الطويلة العريضة التي رصد خلالها هذا العصر من بداياته الأولى حتى الآن . .

### ●●● عاشق الفن :

● الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حتى ماذا لو كتب نقدياً لنفسه أو قال لنا الآن ما هو التقديم الأمثل الذي يراه في مثل هذا البرنامج ؟  
- أسمح لنفسى أن أمدح نفسى الآن وأقول : « رجل يعشق الفن ، ويحاول أن ينقل شعوره بهذا الفن إلى غيره بصدق وأمانة » .

### ●●● بين الأصالة والمعاصرة :

● من هذا المنطلق ، عشق الفن ، وطبعاً الإذاعة أو هذا البرنامج الذى نتصور أنه متفرع عن أحد الفنون وهو أحد الألوان الفنية ، اليوم نطلب شهادتك على هذا العصر الذى نعيشه ؟

- إن القضية التي تشغل جميع الناس حالياً ، المفكرين والمثقفين هي قضية الأصالة والحداثة ، وهذه القضية لا تمتد فقط إلى الفكر والأدب والفنون بل تدخل في مجال الاقتصاد ، فنحن الآن أمام فكرتين :

الاقتصاد القائم على فكرة الشريعة الإسلامية والتي تنهى عن الفائدة وتحض على الزكاة . . والاقتصاد القائم على الأساليب التي استقدمناها من الغرب سواء من الحد الاشتراكي أو الحد الرأسمالي الحر ، فهذه هي قضية اليوم ، الصدام بين الأصالة والمعاصرة أو التناقض بين الشرق والغرب أو بين الحضارة الحديثة وتراثنا وهذه القضية قد بدأت تنمو حين التقى الشرق والغرب ونحن قد التقينا في الماضي مرتين :

مرة في عهد العباسيين وأثبتنا أنفسنا وتقدمنا علمياً على أوروبا . . ثم التقينا أيام الصليبيين أيضاً عندما أرسل صلاح الدين طيبه إلى «ريتشارد قلب الأسد» وأثبتنا أيضاً أفضليتنا عليهم . . ثم جاءت النهضة في أوروبا وقضت على تقدم الشرق ، وهذه نقطة مهمة تستحق من جميع المؤرخين أن يبحثوها جيداً : « أين وقف تقدم الشرق ولماذا ؟ » .

حدث بعد ذلك لقاء خطير جداً بالنسبة لمصر وبالنسبة للعالم العربي كله وهي الحملة الفرنسية ، وجدنا صداماً بين العلماء الأجانب الذين أحضرهم نابليون معه وبين المصريين ، كان هؤلاء العلماء مهتمين بالكيمياء والآثار ورسمها ودراستها ، وكذلك بالعلوم الطبيعية وغير ذلك ، وحدثت ثغرة . ثم جاء بعد ذلك ، عصر محمد علي ، واستعان

محمد على بالفرنسيين الذين تركتهم الحملة في مصر ، استعان بهم في الجيش ، فتجد جنرال سيف الذى ساعده في بناء الجيش وغيره ، واستعان بهم في الطب وفي إنشاء المدارس الحديثة . . ونرى أن محمد على فجأة وبضغط الفرنسيين قال للأزهر « قف عند هذا الحد وأنا سأفتح مدارس حديثة » . . وأنا أعتبر أن هذا اليوم - يوم تم الانفصال ما بين محمد على والأزهر - يوماً من أسوأ وأسود الأيام في تاريخ مصر الحديث ، لأنه شق الأمة المصرية شقين ، ففي هذه الفترة تقرر مصيرى أنا الآن ، تقرر أن أحدثك وأنا أرتدى بدلة . . وكان من الممكن أن أحدثك الآن وأنا أرتدى عمامة وقفطان ، فالأزهر في ذلك الوقت كان يمثل جامعة من أعرق جامعات العالم ، يجوز أن يكون بواب الأزهر أعمى ، أى أن أى يد تطرق بابه يفتح الباب فوراً ولا ينظر إلى لونه ولا جنسه ولا عمره ويقول له سؤالاً واحداً وهو :

« هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ » . . فإذا قال نعم سمح له بالدخول .

● هل هذا هو جواز المرور ؟

- نعم ، أنت ستسكن ، سنعطيك خبزاً وأنت الذى ستختار معلمك ومواد الامتحان كذلك ، فقد كان الأزهر يتمتع باستقلال تام بفضل المسلمين الذين تركوا في أوقافهم خيرات . وكان الأزهر حرماً غير مسموح للبوليس بدخوله ، كان الشعب يحتضن الأزهر وكان يستمد طلبته من أعماق الصعيد من جميع نواحي القاهرة ، وكانت هناك مشاعر

قوية تجاه علماء الأزهر . . وحماس وحرص على استمرارية الأزهر . . وكانت هناك وحدة عاطفية بين الأمة وبين مؤسسات التعليم . وعندما حدث الانشقاق ، انشقت مصر شقين ؛ حتى أفرنجى وحى عربى وهو ما حدث فى كل بلد دخلها الأجانب ، حتى « حتى مصر الجديدة » تجد حتى السرايات للأجانب وحيًا للعرب فى مكان آخر بجانب جامع . . وشتان الفارق بين هذا وذلك ، وكذلك الحال فى بورسعيد . . لقد حدث انشقاق غريب جداً حتى قامت ثورة سنة ١٩١٩ وحدث فيها التحام قوى بين جميع طبقات الشعب .

#### ● إذن الفجوة التى حدثت رُبت سنة ١٩١٩ ؟

- نعم ، أو على الأقل فى بداية المطالبة بالاستقلال فى ظل الحماية الإنجليزية أو الاحتلال الإنجليزي ، وأنا لا أنسى جهاد مصطفى كامل فى فتح المدارس ، والمطالبة بفتح الجامعة المصرية الأهلية ، وفى ثورة سنة ١٩١٩ بدأ نوع من الانبعاث مرة أخرى ، فالثورة قامت فى الأزهر وكان كثير من رجال الأزهر قد دخلوا فى السياسة ، سعد زغلول نفسه كان أزهرياً . . فكان هناك نوع من الالتحام بين هاتين الفئتين ، وكنا نأمل فى أن نحقق نوعاً من الارتقاء لكن لم يحدث . . والسؤال ما الحل ؟

- الحل الذى اهتدينا إليه بعد أخذ ورد ، هو استيراد المنهج وطريقة التفكير على أن تكون طريقة التنفيذ والخطط اللازمة لتنفيذ هذا المنهج نابعة من أصلنا ، وخاصة ونحن نملك تراثاً كبيراً جداً يمكن الرجوع إليه

ودراسته وإحيائه . . فالمسألة تتطلب جهداً مزدوجاً من أبنائنا كلهم .

● لى تعقيب بسيط على فكرة استيراد المنهج وهو هل نحن فعلاً محتاجون إلى استيراد منهج ؟

- هى الفكرة إيه ؟ . . ما هو المنهج ؟ عندما يكون أمامك مشكلة علمية أو أى بحث ، ما هى وسائل البحث العلمى مثلاً . . وسائلها . . ظروفها . . منشؤها ، وتعمل دراسات ميدانية ، وتجمع كل المراجع عليها ، وتضع الخطة . . لا علاقة لك بهذه المسألة فى حد ذاتها وعلاقتها بالمسائل الأخرى . . هذه هى طريقة حل هذه المشكلة : طريقة المنهج !

●●● لا للتباكس :

● بعدما ألقينا نظرة على هذا العصر والتصدعات التى حدثت فى المئتى سنة الأخيرة حتى وصلنا إلى العصر الحالى أو اللحظة الحاضرة . . أسأل كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى عن مقومات هذا العصر الذى نعيشه الآن . . وعن موقع الإيمان والفن والحب من حياتنا المعاصرة ؟

- أنا لا أريد أن أبالغ بأن أخضع كل هذا للظروف الاقتصادية وأقول إن زحام السكان أضعف العشرة ما بين الناس ، وزحام المواصلات قطع الصلات بين الناس ، لأنى أعتقد أن الإنسان شعاع من الله وأن الفضائل كامنة فيه . . وأنه سيبقى دائماً قادراً على أن يحب ويتمنى أن يحب وهذه حقيقة لا جدال فيها فى أى زمان وأى مكان ، ثم أنا لا أحب الظاهرة الجديدة المتمثلة فى حلقات اللطم على الخدود ! فكلما أجلس فى

مجلس أجد التباكى واللطم على الخدود حزناً على الحالة التي وصلنا إليها، وهذا يشعرني بإعياء شديد ، وأشعر أنني حتى ولو كنت قادراً على عمل أى شىء سيذهب سدى ، ولذلك أتمنى من كل شخص يحضر مثل هذه المجالس أن يصمت أولاً ، وأن يصمم في داخله على ألا ينهزم أمام هذا السيل من الشكوى والنواح ومثل هذه الأشياء ، « واللى يقدره ربنا على عمل خير يعمله » . .

● وخاصة أننا نملك مقومات الأمل وليس مجرد حلم طوبوى عند المصريين ؟

- يكفى أننا الآن نحصى عدد الذين تعلموا عندنا في السنوات الأخيرة بالآلاف وكلهم موجودون في البلاد العربية ، وهم هناك يؤدون أعمالاً أفضل كثيراً مما يفعلونه هنا .

### ●●● إعجاب وتقدير :

● الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى هل ترى أى تغير في الشخصية المصرية والتي بدأت حضرتك هذه الحلقة بالحديث عنها ؟

- أنا معجب جداً بالشخصية المصرية خصوصاً بالصعيد الذى عشت فيه عامين ، لأننى وجدت أن الإنسان المصرى فى الصعيد مثال فذ ، فالصعيدى يعيش وعنده إحساس كونى بالكون وسأضرب لك مثلاً :

أنا كنت فى عيادة طبيب فى مستشفى ، وجاء صعيدى ليكشف

عليه ، دخل من باب المستشفى ولف في ممر على اليمين واليسار والطبيب لفته حول نفسه ثم قال له أرقد في حجرة مظلمة ، ثم سأله : « أى جنب يؤمك ؟ » فقال له : « جنبى البحرى » . فتصور هذا الفلاح الذى يجلس فى هذه الحجرة كيف أن إحساسه بالجهات الأربع يبلغ هذا الحد ! يعنى أنا متأكد أنك لو قذفت به من البراشوت سيقول لك : « جبل على ! » فهذا الإحساس يعنى أن المصرى لديه قوة غريبة جداً ، خصوصاً فى الصعيد الذى هو صلب الشعب المصرى ، والهرم الأكبر عندنا أضلعه الأربع فى مقابل الجهات الأربعة ، فهذا الفلاح الذى رأيته هو هذا الهرم وهو بانى هذا الهرم بهذه النسب الهندسية الدقيقة .

### ● أى أن إحساسه بجغرافية الكون موجودة ؟

- نعم وكلمة بحرئى نسبة إلى البحر ، كذلك فإن لدينا النهر العظيم والذى تستطيع أن تركب فيه من منبعه إلى مصبه المركب . . لأن التيار يدفعك وفى العودة تدفعك الرياح ، ففى مصر خصائص غريبة جداً يحسن أن يصل إليها الفنانون والكتاب ، خصوصاً كتاب القصة لأن الصعيد - حتى الآن - لم يدرس دراسة كافية فى القصص ؛ لأن الظروف الاقتصادية الحاضرة قللت من أهمية الصعيد عندنا ، لكن يكفى فى مدحى للصعيد أن أقول لك إن الصعيد هو الذى قدم لنا الفنون ، الأغانى الفولكلورية مثل « يا وابور الساعة ١٢ » ، « محمد ولسدى » و « يا بهية خبرينى عن اللى جتل ياسين » . . وأنت لا تجد مثل هذه الأغنيات فى الدلتا . . أيضاً أثناء عملى فى الصعيد كانت هناك فتاة

اسمها «ناعسة» في قرية اسمها « مزاتة » ووجدت الصعيد كله يتغنى بها وكان هذا بمثابة نموذج أسطوري لفتاة مثل « تاييس » في العصر الهليني ، في مصر كانت هناك « ناعسة » ، مثل هذه الأمثلة لا تجدها في الدلتا . . .

### ●●● الأغنية المصرية :

● وما رأيك في الأغنية المصرية المعاصرة كعمل متكامل ؟

- أتكلم عن ماذا ؟ أتكلم عن التلحين . . أعتقد ان أهم وأنفع اختراع ربنا خلقه هو مفتاح غلق الراديو ، هذا أبرك اختراع للعلم . . .

● هذه إهانة رهيبة جداً !!

- الحقيقة ، أنا أنزعج انزعاجاً شديداً جداً ، بأمراض . . والله من الشعور بالرتابة والملل الشديد من التلحين أو « سلق البيض » الذي يحدث هذه الأيام . . الأعمال الفنية لا تخرج هكذا ، كلهم يفعلون نفس الشيء ومنير مراد-رحمة الله عليه- قال :

« نحن جميعاً نعمل عملاً واحداً مثلنا مثل الذى يكوى قميصاً ، أحدهم يكويه من اليمين إلى الشمال والآخر يكويه من الشمال إلى اليمين » ، إذن ليس هناك مجهود يبذل فتجد شخصاً يقول :

« أخذت النص من الإذاعة وعندما عدت إلى المنزل اتصلت بهم تليفونياً وأملت لهم اللحن » .

كيف يحدث ذلك ، لا أعلم ، هل المسألة لهو ؟

● أستاذ يحيى حقى أنا أعتقد أن شباب هذا الجيل ليس مختلفاً كثيراً في ذوقه عن الأستاذ يحيى حقى بدليل انصرافهم إلى الألوان الأخرى ؟

- حقيقة كان المفروض أن نبني على أساس سليم ، عندنا التواشيح والبخارف ، التواشيح كغناء والبخارف كموسيقى صامته وكان يجب أن تكون التواشيح والبخارف هما الخطوتان اللتان نمشى بعدهما ونحاول أن نطور . وطبعاً أنا لا أحب الذى يقول لك « ما هذه الأغاني البذيئة والتافهة ؟ » . . في كل شعوب العالم هناك أغاني الشوارع والكباريات وهى ما يطلق عليها في الدول الأوروبية Silly Songs أى الأغاني التافهة ، ولا يوجد شعب يستغنى عن الأغاني التافهة أبداً ، فلا يصح أن نزعج من الأغاني التافهة ، وأنا أرى أننا تحدثنا كثيراً في هذا الموضوع وأنا أرى أن نترك هذا الموضوع وألا نشغل بالنا بهذا الموضوع وهذه القضية ، وأرى أن نترك هذه الظاهرة إلى أن تختفى ، على أية حال أنا أعتقد أن هناك - إلى جانب هذه الأغنيات - دراسات ومحاولات جادة لوضع أغاني جيدة .

●●● عودة إلى قضية العصر :

● والآن نعود إلى قضية العصر . . .

- نعم ، ما هو الوصف الحقيقي للمحاولات التى نبذلها في اللقاء بين حضارتى الشرق والغرب ؟ يعنى مثلاً في شبابنا كانت هناك حملات

ضدنا ، كان الإسلام فيه رق . . وتجد شفيق باشا وقد كتب بحثاً للرد على ذلك مؤكداً أنه لم يكن في الإسلام رق . . وتجد حملة أخرى ضد تعدد زوجات وتجد أيضاً من يرد على هذه الحملة شارحاً حكمة الإسلام في تعدد الزوجات . . أو على من يزعمون أن الإسلام فيه تواكل فتجد محمد عبده وقد وجه « رسالة التوحيد » للرد على هذا الزعم .

كان المهجوم فرعياً وكانت الردود فرعية ، وكان المفروض ألا نرد في فرعيات بل كان يجب أن نقنن من أوروبا تصوراً شاملاً لمعنى حياة أمة إسلامية تريد أن تطبق شريعته وكيف يكون ذلك ؟ إن ما تفعله الآن أشبه ما يكون بترقيع الثوب والمفروض أن نخلع الثوب كله لتلبس ثوباً ثانياً نتخذه من أصلتنا ومن حضارتنا .

### ●●● خير الأمور الوسط :

● إذن أنت تطالب بتصور شمولى ورد شمولى ؟

- تصور شمولى مع الاعتراف بأنه قد يكون من المستحيل التطبيق فوراً لأن الآن الحياة متشابكة . . رؤوس الأموال متشابكة ، التبادل التجارى متشابك ، الاتصالات متشابكة ونحن لا نستطيع أن نفصل مرة واحدة بين هذا وذاك ، ولكن لا بد من التدرج وأن نكسب كل يوم أرضاً جديدة ، على أن يكون فى ذهننا فى نهاية الأمر صورة الأمة أو الدولة التى تطبق تراثها ، وتكون قادرة على مسايرة العصر الحديث ، وهذا يقتضى أيضاً من النواحي السياسية أن يحدث اتحاد بين الدول العربية ثم بين

الدول الإسلامية ، حتى يسهل علينا عندما نضع مجالاً خاصاً بنا أن نجد مجالاً لتطبيقه بدون التعرض لأى أذى ، أى أن يكون هناك أرض للمناورة متسعة الرقعة .

### ● ونصبح بذلك مثلنا مثل الأمة الإسلامية في عنفوانها ؟

- نعم ، ولحسن الحظ نحن أمامنا تجربتين يجب أن ندرسهما بعمق ؛ تجربة مصطفى كمال في تركيا عندما قرر أن تتحول تركيا فوراً من دولة دينية إلى دولة علمانية . . والتجربة الثانية تجربة إيران . . مصطفى كمال ذهب إلى منتهى التطرف في اتجاه ، وإيران فعلت نفس الشيء في الاتجاه المضاد . وأعود وأقول إن من حسن الحظ أن مصر أمة وسط وأنها على مدى التاريخ كرهت العنف وكرهت التطرف ، وأمسكت بكل النظريات ووصلت بها إلى حد الوسط ، فمصر ذات موقع جغرافى وسط وطبيعة وسط ومزاج وسط أيضاً ، ونحن عندنا استعداد كبير أن نشق طريقنا بدون أن نتطرف إلى اليمين أو اليسار .

### ●●● لغة القرآن لغة بسيطة :

● أستاذ يحيى حقى أنت عندما كتبت قصة « قنديل أم هاشم » كانت شهادة على عصرك ، فما شهادتك على هذه القضايا ، قضية التغريب وقضية الحيرة بين الشرق والغرب ، قضية التحديث والأصالة ، وهذه القضايا كلها مطروحة في هذا العصر ؟

- نحن محتاجون إلى ما يسمى بوضوح الرؤية أى أن نرى رؤية

صحيحة وبدون أى مبالغة ، يعنى مثلاً هل هناك أى شك فى أن الدين الإسلامى والقرآن يحث الإنسان على استخدام عقله ، هذا الكتاب يأمرك سح فى الأرض امش وانظر واستعبر وافتح عينك .

● « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » !

- وأعود لأحدث عن ظاهرة غريبة جداً من حيث اللغة ، تجربتى مع القرآن بدأت فى المرحلة الابتدائية عندما كنت أنشد قصار السور مع طلبة الفصل بنغم رقيق جداً كان يهز شعورنا ووجداننا ، وعندما كبرنا بعض الشيء قل هذا الإحساس وبدأنا نتلقى هجوماً على القرآن من الأجانب ومن بعض المصريين ، وكان هذا الهجوم موجهاً لصعوبة لغة القرآن ، ثم فى أواخر عمرى انتهت لظاهرة غريبة جداً ، فأنت إذا استثنت بعض كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة ، تشعر أن القرآن مكتوب الآن ، فلغة القرآن لغة بسيطة جداً إذا قورنت بالشعر الجاهلى ، فالشعر الجاهلى أصعب مائة مرة ، لكن القرآن شىء مدهل ، فكيف تستطيع لغة أن تعطيك هذا الإحساس بأنها كتبت منذ أربعة عشر قرناً وكأنها كتبت الآن؟!!

● الحقيقة هذا رأى جديد تماماً ويحتاج بعض التفصيل والتوضيح من

كاتبتنا الكبير الأستاذ يحيى حقى حول القرآن وقراءته فى هذا العصر ؟

- أريد أن أروى لك علاقتى بالقرآن الكريم ، طبعاً وأنا صغير كانت قراءة القرآن لا تنقطع فى بيتنا ، لكن لقائى العاطفى الشديد جداً بالقرآن

بدأ وأنا تلميذ في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية عندما كان الفصل كله - وكان الفصل اثنين وخمسين تلميذاً - بصوت واحد يقرأ آيات جزء عم القصيرة ، وهذه الآيات كان لها شاعرية غريبة جداً في قلوبنا خصوصاً وأن هذه الآيات كانت تتحدث عن آيات تمس قلوبنا مثل العناية باليتيم ، فهذه النغمات جعلت القرآن يسرى إلى قلوبنا وأذاننا وأعصابنا كنغمة أكثر منها معنى - يجب أن نعترف بذلك - بعد ذلك حين كبرنا وتحولنا من السماع إلى القراءة ، وجدنا شيئاً من الصعوبة في الفهم ، ثم اختفت العلاقة لاختفاء تعليم القرآن في المدارس بعد السنة الثانية أو الثالثة من المرحلة الابتدائية ، بعد ذلك أصبحنا - عندما كبرنا وتعلمنا في أوروبا - ضحية لأقوال متعددة تقول إن اللغة العربية لغة مهجورة ولغة قديمة ولغة معقدة ولغة صعبة وأن القرآن يحوى كلمات لا يفهمها أحد ويختلف المفسرون في تفسيرها .

● وما يقال عن اللغة العربية من أنها لغة شفوية ومثل هذا الكلام للمستشرقين؟

- المستشرقون؟! يا سيدي في هذا السن الذي بلغته أقرأ القرآن وكأنني اكتشفه لأول مرة! والله إنك فيما عدا كلمات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة يخيل إليك أن القرآن مكتوب بلغة معاصرة وأكاد أن أقول إنه مكتوب بلغة الصحف ، أي أنه كلام سهل جداً يستطيع أي طفل عمره تسع سنوات أو عشر سنوات أن يقرأه بمفرده . فالإنسان يتحول من هذا الشعور إلى شعورٍ آخر ، ما هذه اللغة التي استطاعت عبر أربعة عشر

قرناً أن تظل محتفظة بشخصيتها وقدرتها على الإبانة والتعبير بأيسر الطرق وأسهلها ، فماذا يقول لنا المستشرقون ؟!

هذا كنز وعبء في آن واحد ، لأنه ليس من المعقول أن تتحجر اللغة . .

أنتم تزعمون أن اللغة لم تتطور منذ أربعة عشر قرناً إلى الآن ، ولكن نحن الحقيقة نشعر أن هذا هو الكنز وليس العبء ، لأن ما هي قيمة اللغة؟ . . اللغة هي استمرار واتصال وانتقال من جيل إلى جيل ، فهل هناك لغة أخرى جعلت كل جيل يسلم المشعل إلى الجيل الذي يليه ، غير القرآن؟ لا يوجد ، وهذا هو سر القوة . . !

### ● واللغات الأخرى عمرها بضع مئات السنين فقط ؟

- نعم ، وأنا دائماً ما أقارن حال شبابنا بحال شباب مثقف انجليزي يعود إلى بيته ويتجه إلى مكتبته ، يمد يده ليأخذ كتاباً يقرأه فلا يجد كتاباً عمره أكثر من ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة . . لكن أنا أجد ديوان امرؤ القيس والذي قد يجد من يقرأه على مدى أربعة عشر قرناً وأكثر ، ولذلك فإن العبء على المثقف العربي أكبر منه على نظيره الإنجليزي ، فالإنجليزي يتعلم اللغة الجارية فقط ، لكن الشاب العربي كى يشعر بانتمائه لا بد وأن يوثق صلته بكل التراث ، ستقول لى هذا صعب ، نعم وهل فى الدنيا شىء سهل ، هل هناك لغة بلا قواعد صعبة ؟!

على أية حال الأمة العربية والإسلامية مرت بمواقف انحذار وانهيار

كثيرة وأصبحنا نرى اللغة زخارف وكلمات ومترادفات ، وهذا راجع إلى المجتمع نفسه ، ففي ضعف المجتمع ضعف اللغة ، فاللغة هي نتاج المجتمع .

### ●●● ساحة لغتنا الجميلة :

● ولكن الآن يا أستاذ يحيى ، اللغة ، ككائن حي يعيش بيننا ونعيش به في هذا العصر ، إلى أين وصلت ؟

- أنا شخصياً مررت بتجربة غريبة جداً - وللعلم : جميع أفكارى ، آرائى فى الفن أو القصة لا أستقيها من الكتب وإنما أستقيها من معاناة شخصية - وهى أن كان عندنا مجلة الـ Readers' digest وهى مجلة أمريكية مكتوبة بأسلوب أمريكى ، وتقرر إصدار نسخة عربية من هذه المجلة وأسموها « المختار » وأوكلوا رئاسة تحريرها إلى فؤاد صروف وسكرتارية التحرير إلى محمود شاكر ، وعملت أنا فيها بالترجمة ، وتعاهدنا على أن نلتزم منتهى الأمانة فى نقل النص الأمريكى الحديث للقرن العشرين إلى اللغة التى يقال عنها إنها تجمدت وتحجرت وأصبحت لا تتماشى مع هذا العصر ، وأؤكد لك أن أى شاب يدرس اللغة العربية، لو رجع إلى هذه الأعداد التى صدرت من مجلة « المختار » لدesh إذ كيف أمكن لأسرة التحرير - وبفضل الأستاذ محمود شاكر الذى كان يراجع كل مقالة - أن نقل الأفكار والتعبير وكل ما هو فى عالم الماديات والمعنويات من مجتمع أمريكى فى القرن العشرين إلى لغتنا العربية .. إذن فالمسألة مسألة وجود ، مسألة عمل ..

وأنا أستمع كذلك إلى محطة القرآن الكريم ويعجبني جداً برنامج «علم التجويد» ، إننى والله أنتشى عندما أجد وصف كل حرف من حروف اللغة وطريقة نطقه وتنوينه وتنغيمه ، يعنى لم يحدث فى أى لغة أن درس كتاب من جميع جهاته كالقرآن .

كذلك أنا متتبع لأسئلة القراء فى المسائل الدينية ولكنى أجد جميع الردود تتحول من السلوك إلى النصوص والطقوس والتفسيرات ، نحن نريد الأحكام ونمط السلوك .

● باعتبار أن العمل عبادة والدين سلوك إلى جانب أنه منهج حياة ؟

- كنت أحلم دائماً وأسأل نفسى عن النمط الإسلامى ، يقال النمط الانجليزى ، النمط الساكسونى ، أو النمط الألمانى والنمط الإيطالى ، فأنت ترى رجلاً فى الشارع فتقول هذا انجليزى أو إيطالى أو ما إلى هذا ، لكن ما هو النمط الإسلامى ؟

أنا أحاول كثيراً أو من حسن الحدى أننى أستطيع أحياناً أن أتبين شخصاً أو اثنين وأقول هذا هو النمط الإسلامى الذى أنشده . .

● ما هو ؟

- يعنى عندما ترى فى وجهه الصراحة والاستقامة والجدية ، وتشعر أنك تستطيع الاعتماد عليه وأنه رجل شريف نبيل . .

●●● الأمانة والمعاصرة وحياتنا :

● وأنت وقد رصدت ظاهرة عامة وهى الغرب والشرق ، الأصالة

والمعاصرة ، فهل ترجمت هذه الظاهرة إلى ظواهر في الشارع والبيت  
المصرى وفي المجتمع المعاصر ؟

- الآن ماذا ترى العين في الشارع أول ما ترى ؟ سترى مثلاً عمارة وهذا  
يعطيك مثلاً ل كيف اغتالت العمارة الغربية عمارتنا الأصيلة ، وإن  
كان - مع الأسف - بعض الأجانب هم الذين نصحبونا  
بالاستمساك ببعض الأمثلة من عمارتنا الصميمة ، مثلاً حتى مصر  
الجديدة ، عندما تلاحظ العمارات الأولى التي بنيت تجدها بنيت على  
التراث الأندلسي . . البواكي . . لأننا بلد حار ونحن محتاجون لنظام  
البواكي مثل شارع محمد علي وإن كان الخديوي إسماعيل كان يقصد من  
شارع محمد علي تقليد شارع ريفولى في باريس ، أما الذى بنى مصر  
الجديدة فكان يقصد طابعاً محلياً لتمييز به الدول الإسلامية . وأنا أدعو  
معمارينا أن يدرسوا العمارة العربية ولو أن طغيان الحضارة الحديثة لا  
يسمح بالوقوف أمام هذا الغول وهذه المشكلة ، ومع ذلك هناك بعض  
الدول الإسلامية مثل تونس ومراكش استطاعوا الاحتفاظ ببعض الطابع  
المعمارية العربية . أما نحن فقد بذلت بعض المحاولات في عهد كتشير  
ولم تستمر ، ومرة أخرى أدعو لدراسة الطراز العربى ، مثلاً عند بناء  
المساكن الشعبية ، لماذا لا ننظر إلى نظام « الرّبع » والرّبع عبارة عن مبنى  
طولى فيه ممر مكشوف تفتح عليه كل الغرف ، إذن ليس من المهم أذوار  
عالية ، يعنى يجب أن ننظر إلى هذه الأشياء أو على الأقل ندرسها .

● هذا طبعاً نراه في كل المجالات ، فإذا كنت حضرتك قد تكلمت عن العمارة الآن وشكل الشارع ، أيضاً هل نجد مثل هذه الظاهرة في مجال الأدب والفكر والفن ؟

- نعم ، فنحن عندما نعود لبداية الحركة الفنية بعد سنة ١٩١٩ ، يجب أن نعترف أنه كان هناك شيء اسمه اقتباس ، حدث في المسرح ، فتجد أغلب مسرحيات يوسف وهبى ونجيب الريحاني مقتتسة ... حتى المصورين الأوائل كانوا ينقلون نقل مسطرة من الفن الكلاسيكى في أوروبا ، كذلك بعض كتّاب القصة القصيرة ، كما قيل إن عبد الوهاب اقتبس أيضاً بعض الحانة .. ثم بعد ذلك طلبنا الأصالة وأن يكون لنا أدب خاص بنا ، وتراجعت فكرة الاقتباس وأصبح عندنا أدب مصرى خاص محلى يعبر عنا أحسن تعبير ، وذلك بفضل كتاب عظام أمثال ؛ نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم .

### ●●● وحدة تاريخ أم وحدة ثقافة :

● في الحقيقة كثير من الشباب رفض الانتماء المصرى إلى الثقافات والحضارات ووقعوا في هذه الحيرة كثيراً ، وأنت قد حدثتنا عن إنسان الصعيد وهذا الإحساس الكونى الذى يملكه ، فهل هذا يؤكد وحدة التاريخ المصرى منذ الفرعونية وحتى الآن ؟

- نعم ، لكن يجب أن نزيل لبساً خطيراً ، وحدة التاريخ شيء والثقافة شيء آخر ، ويدعوننا هذا إلى تساؤل هو : ماذا ترك لنا

الفراعنة؟ تركوا لنا الآثار من أحجار وقبور وبعض الرسوم وتماثيل لها قيمة فنية كبيرة جداً بلا جدال ، لكن منذ دخول الإسلام واللغة العربية في مصر ماذا حدث ؟ حدث أننا نتكلم اللغة العربية ونفكر باللغة العربية ، إذن فإن اتصالنا الثقافي مرتبط باللغة العربية ، ولا أستطيع أن أقول إننى منفصل عن الثقافة العربية .

● هذا هو الانتفاء ؟

- أنا منتم لمصر وتاريخها في كل شيء ، إنتفاء في التفكير ، في تدبر أمورى ، في قدرتى على التعبير ، في تذوق الجمال ، الكلام ، في صياغة الكلام ، لا بد أن أكون وثيق الصلة بتراث اللغة العربية ، إذن لا بد من عمل موازنة بين تراثنا الحضارى وتراثنا اللغوى والجمع بين الاثنين ، لماذا نفصل ؟ وما هو التعارض من أن أقول إن جميع عادات الجنازات عندنا فرعونية وبين انتمائى إلى تراثى العربى ، وكيف أنفى أننى أقف مذهولاً أمام تماثيل ورسومات الفراعنة ، والتجريد فى التصوير ، وهذه المهابة وهذا الجلال فى التماثيل ، كل هذه الأشياء هى أيضاً من تراثى ، ولا بد أن أنتمى إليها وأن أحاول التعبير عنها لكن من حيث الثقافة فأنا أتحدث العربية وأفكر بالعربى لا بالهيروغلىفى .

● إذن عندما يمر الأستاذ يحيى حقى أمام تمثال نهضة مصر يجد فيه الاستمرارية للإنسان المصرى والحضارة المصرية التى صنعت الحضارة المصرية الفرعونية القديمة ؟

- نعم بلا جدال ، أنا حتى أذهب إلى حد القول بأن العبقرية الفنية في مصر هي النحت لا التصوير . . . بدليل أن ما فعله الفراعنة أهم بكثير من الرسم في نظري بالرغم من أننا عندنا لوحات لا يتصورها عقل . . . لكن النحت وجلال النحت هو الفن الأول عند قدماء المصريين وعندنا ، لماذا ؟ . . . مختار جاء ولم يجد فرشة أو ورقة أو ألوان إنها وجد طين يستطيع أن يشكله بيده على التربة .

● وهل هذا يعطى أيضاً مؤشراً على تواصل واستمرارية الحضارة في مصر ، وأنا أذكر هنا أن أحد المؤرخين كان يقول : إنه عندما يلتقى بالفلاحين المصريين على شاطئ التربة مثلاً كان يخيل إليه أنهم رسوم خرجت من على حوائط المعابد الفرعونية ؟!

- طبعاً ، خصوصاً في الأجواء التي لم تختلط بالدماء الأجنبية كثيراً مثل الصعيد الجوانى ، وهذا الصعيد هو ما اعتبره أنا العمود الفقرى لمصر والرقبة الممتدة ، والرأس المرفوعة والصلابة الشديدة جداً في الأخلاق وفي العمل وفي كل شيء .

● أستاذ يحبى حتى لغة الصحافة والمقصود بها الإيجاز والإقلال في عدد الكلمات والأسلوب التلغرافى ولغة الإذاعة والمقصود بها اللغة التي تمسك بالأسماع ، تعبيران أو تعبيرات دخلت حياتنا في العصر الحديث ودخولها يدل على ظاهرة ثقافية موجودة ، فعلى ماذا تدل وما هو تقييم حضرتك إلى ما وصلت إليه وما ترتب عليها من آثار ؟

- يكفى أن تقرأ فى الأهرام كادر كتب عليه « فى الأهرام منذ مائة سنة »  
وتقرأ كيف كانت تكتب اللغة العربية فى ذلك الوقت وتقارنها الآن بلغة  
الصحافة ، وأقول لمن يقولون لم تحدث نهضة فى مصر ، إن «الأهرام»  
و«الأخبار» و « الجمهورية » كل هذه الجرائد تعطيك أخبار العالم كله  
سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وذلك بلغة سهلة مفهومة  
وفصيحة خالية من أى ركاكة أو تعقيد ، فذلك فى حد ذاته نهضة كبرى  
.. كذلك نجد أن جميع فروع العلم الحديث وقد ترجمت مصطلحاتها إلى  
اللغة العربية ، والغريب أن الفنون والآداب والنقد هى التى لم تترجم بعد  
كل مصطلحاتها ، لكن يجب أن يشعر أصحاب الصحف بمدى  
المسئولية التى تقع على عاتقهم ، وأنا أطلب بإدخال الشكّل على بعض  
الكلمات فى صحفنا خصوصاً الفعل المبني للمجهول يعنى أنا لا أطلب  
بتشكيل كل حرف ولا كل كلمة فأنا أعتقد أن الصحف عليها واجب  
قومى ، واجب وطنى .

● بالنسبة للمجلات الثقافية القائمة حالياً ، فأنا لا أعرف رأى  
الأديب الكبير يحيى حقى فيها .. ومقارنتها بمجلات الأربعينيات أو  
الخمسينيات؟

- المشكلة ما هى طبيعة المجلة ؟ فهى إما أن تكون مجلة صادرة  
للتبشير والدعاية لمذهب أدبى جديد ، فتجمع حولها آثار هذا المذهب  
وتدعو إليه وتفسره وتشرحه ، ويصبح لها شخصية واضحة معروفة ..  
وإما أن تكون مجلة ثقافية عامة ، مائة تعد لك مائة طبق وطبق ، فنحن

لا يوجد عندنا مجلة تدعو إلى مذهب جديد ، فلا يوجد مذهب جديد  
فكل المجالات مضطرة أن تكون مائدة عامة متنوعة الأصناف والأطباق  
ولذلك من الصعب أن تحدد ذوق القارىء .

● هنا لنا وقفة مع الأستاذ يحيى حقى ، فأنت تقول لا يوجد مذهب  
جديد مع أن هذا العصر يموج بعشرات المذاهب الجديدة التى أحياناً  
تكون متناقضة ؟

- أدبية أم سياسية ؟

● كله !

- قل لى أين المذهب الأدبى غير الشعر الحر أو الكلاسيكى ، هل  
عندك ناقد الآن أوجد لنا فى كتابة الرواية أو القصة مذهباً جديداً ؟ . .  
ألسنا نستورد جميع تعبيرات النقد الحديث من أوروبا ، عندما نقول  
« الشيئية » و « العينية » ومثل هذه الأشياء أليست منقولة ؟ ثم للأسف  
الشديد أن الذى أرهق مجلاتنا الثقافية هو الانقسام العقائدى « بين  
اليمين واليسار . . وهذه نكبة كبرى أنا صادفتها عندما كنت رئيساً  
لمجلة « المجلة » وتسمح لى أن أروى لك حادثة توضح لك الصعوبة  
التى واجهتها ؛ خرج كثير من الشباب من السجن وجاءوا إلى ورأيت  
أنهم فى حاجة إلى المساعدة ، فقلت لهم أنا لا أنظر إلى ألوانكم ، إنما  
اكتبوا لى موضوعياً مقالات ذات قيمة وسأنشرها ، وأنا لا شأن لى بلونكم  
السياسى ، وكلفت أحدهم وكان متخصصاً فى علم النفس بكتابة مقال

في علم النفس ، فقدم لى مقالاً لبابلوف رئيس النهضة في علم النفس .

● اختار عالماً روسياً أيضاً ؟

- نعم وهذا التعنت من الأيدلوجيات هو الذى أفسد المجلات الأدبية .

● المدهش يا أستاذ يحى أن الناس فاهمين أنهم لا بد أن يكونوا إما يمين أو يسار . . فهذه ظاهرة في حد ذاتها ؟

- ولذلك هنا يأتى الكلام عن قيمة الفن في المجتمع يعنى يجب أن نقفز فوق هذه الفوارق لنصل إلى مرتبة عليا اسمها الفن ، نريد من الجميع أن يتذوقوا الجمال ويتذوقوا الفن ، ثم ينقسمون بعد ذلك ، فجميع المبالغات تتولد من شخص لم ينضج ولا يمكن أن ينضج إنسان إلا على نار الفن .

● إذن فالتمسك بالتقسيمات والاقترحات أحياناً ما يفرقنا في تفرعات كثيرة ؟

- طبعاً وأعود للحديث عن القرآن وإن كنا أحياناً نتناوله تناولاً فيه نوع من العبث ، عبث طفولى ، وأنا أرى أننا لا بد من مقاومة هذا العبث حتى ولو كان الذى يقوم به أحد كبار الرؤوس ، وأنا أذكر أننى عندما كنت مديراً لمكتب خشبة باشا ، جاءتنا هدية عبارة عن القرآن الكريم مكتوباً في صفحة واحدة ، وقال لى خشبة باشا رد على هذه الهدية فكتبت رسالة شكر وعرضتها عليه فقال : « إنك رجل أحق لأن هذا

الرجل الذى أنفق وقته فى هذا العبث يجب أن نزرجه لا أن نشكره ،  
فكيف لى أن أزرجه ؟ » .

فقلت فى ردى : « لو أنك بذلت جهداً فى جمع القرآن وتفسيره  
والإشادة به ما بذلته فى هذا الخط الدقيق لكان هذا أولى لك » .

● نخلص من كلام الكاتب الكبير يحى حقى أن رؤيتك للعصر  
ترصد ظاهرة هامة جداً وهى الانقسام إلى نظرة إلى الشرق وأخرى للغرب  
والأصالة والمعاصرة ؟

- فعلاً ونرجو أن نجتاز هذه المرحلة سريعاً ، وكما قلت لك المسألة  
ليست مسألة ترقيع ثوب ، يجب أن نعيد النظر إلى الثوب ، فإذا كان لا  
يناسبنا فلنبدله بثوب آخر لائق مستمد من تراثنا وليكن هذا عندما تكون  
الظروف مناسبة .

● وأنت تطالب باستيراد المنهجية وليس المنهج أو الوعاء مثلاً إنها يملأ  
تراثاً ودينياً ؟

- أركز على ضرورة الاعتناء باللغة وإحيائها لأنها وعاء الفكر .

### ●●● شهادة على العصر :

● بعد هذا الحوار الممتد ما هى شهادتك على هذا العصر فى سطر أو  
سطين ؟

- والله هذا عصر يصيب الإنسان بالدوار ، فلو قلت لك عدد

الحروب التى عاصرتها وعدد المخترعات الحديثة التى عاصرتها بعينى ،  
فالإنسان يلهث وكأنه يضرب بسوط ليتأمل ، وهو يحتاج لوقفة تأمل  
قوية جداً ، والبحث عن الأساسيات التى مهما تغيرت الأحوال تظل  
ثابتة كالأخلاق، والفضائل والشهامة ، والشجاعة والوقوف إلى جانب  
الحق ، والدفاع عن المبدأ ، والنبيل والجرأة ، وفعل الخير ، هذه هى  
الركائز التى يجب أن تتشبث بها كما يتشبث الغريق بقشة فى بحر هذا  
الزحام ونترك الجرى واللهثان الذى من شأنه أن يصيبنا بالدوار إن لم  
نصب بالجنون !!

obeikandi.com